

الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج (دراسة سوسيو أنثروبولوجية)

م.م. عبد الرزاق صالح محمود
جامعة الموصل / مركز دراسات الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٨/٦/١٧ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٨/٩/٧

ملخص البحث :

يتناول البحث الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج في مجتمع مدينة الموصل تلك الخصائص التي تؤثر على تعامل الفرد مع السحرة واعتقاده بالدور العلاجي للسحر، تكونت عينة البحث من (١٠) حالات مرضية اتبع الباحث منهج دراسة الحالة والمنهج الأنثروبولوجي في دراستها وكان الإخباريون إلى جانب المقابلة والملاحظة هي أدوات جمع البيانات وتسجيل الحالات الخاصة بالبحث .

وقد توصل البحث إلى أن الاعتقاد بالدور العلاجي للسحر والإيمان به للتخلص من الأمراض لم يقتصر على الأميين أو المستويات التعليمية الدنيا بل تعداه إلى أصحاب المستويات التعليمية العليا ، وكذلك لم يقتصر على غير الملتزمين بأداء الفرائض الدينية بل شمل حتى المتمسكين بتلك الفرائض كالصلاة والصوم .

The Social Characteristics of the Believers in Magic as a Cure : A Socioanthropological Study

Assistant lecture Abdul Razzaq Saleh Mahmoud

University of Mosul/ Mosul Studies Centre

Abstract:

The research tackles the social characteristics of the believers in magic as a cure in the Mosuli society, i.e. the characteristics that influence the individual's treatment of wizards and his belief in the curing role of magic. The research sample consists of ten cases. The researcher adopts the case study approach and the anthropological one in his study of the cases. The instruments of collecting data and recording the cases of the research include the tellers of the case besides the interview and

observation. The research concludes that the belief in the curing role of magic is not confined to the illiterate or the low leveled people; It extends to the high- leveled people- This belief extends also to the religious people; i.e. to the people who follow the religious learning like prayer and fasting.

مقدمة:

عاش الإنسان البدائي منذ بدايات وجوده في حالة صراع وتنافس مع البيئة والظواهر الاجتماعية المختلفة كونه واجه تحديات عديدة كان عليه أن يتجاوزها ليعيش ويستمر في حياته بدون مشاكل أو عراقيل ، وكان ابرز ما واجهه الإنسان البدائي الأمراض والأوبئة والإصابات التي عاش معها في صراع وتنافس قوي لأنها تتعامل مع ذات الإنسان ومشاعره وعقليته وأفكاره البسيطة والمتواضعة وكانت تصيبه الحيرة في هذه الأمراض وخاصة (الباطنية) لان ليس فيها سببٌ ظاهر يرى للعيان ليتم معالجته والتخلص منه فكانت المرحلة الأولى من العلاج هي مرحلة المحاولة والخطأ ثم دخل الإنسان مرحلة أخرى مع تطور حياته في علاج الأمراض وهي مرحلة السحر والعلاج في المعابد التي كان الرهبان والكهنة يمارسون فيها العلاج إلى جانب الديانة وخدمة المعبد ، ودخل علاج الأمراض والإصابات شيئاً فشيئاً إلى الحياة عبر مراحل الصدفة والسحر والمراحل الدينية إلى أن وصل إلى ما وصل إليه اليوم من طب حديث ومتطور ولكن مع وجود كل الوسائل التكنولوجية والطرائق الطبية العلاجية الحديثة وتوفر المستشفيات والخدمات الصحية إلا أن طرائق الطب الشعبي الشرعية من طب دوائي وجراحي وروحي موجودة حتى يومنا هذا ويوجد إلى جانبها أيضاً طرائق علاج شعبي غير شرعية مثل (السحر . موضوع البحث) التي يتمسك بها العديد من افراد مجتمعنا ويعتقدون بالدور العلاجي للسحر والسحرة في علاج الأمراض مع العلم بوجود الطب الحديث والطب الشعبي وطرائقه الصحيحة والمقبولة كما اشرنا مع الأخذ بنظر الاعتبار ديانة اغلب أفراد المجتمع وعقيدتهم الإسلامية التي تتعارض مع أفكار السحرة والمشعوذين وقراءاتهم وتلاواتهم وطرائقهم العلاجية الخاطئة (حسب تصور البعض) التي يؤمن ويعتقد بها العديد من أفراد المجتمع والذين سنتطرق إلى دراستهم في بحثنا الموسوم (الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج . دراسة سوسيو انثروبولوجية) حيث سنركز على ابرز الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر والمؤمنين بان السحرة يمكن أن يعالجوا الأمراض والإصابات.

يتكون البحث من خمسة مباحث تضمن الأول منها تحديد مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وكذلك تحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه بينما تناول المبحث الثاني الجانب النظري

التمثل ببدايات ظهور السحر والسحرة واعتقاد الناس بدورهم العلاجي وكذلك الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج تلك الخصائص المتمثلة بالمستوى التعليمي والاقتصادي والاجتماعي وثقافة الفرد الدينية وغيرها من الخصائص المؤثرة في اتجاه الأفراد في المجتمعات إلى العلاج بالسحر والاعتقاد به كطب، وتضمن المبحث الثالث منهجية البحث وأدواته وعينته ومجالاته والوسائل الإحصائية المستخدمة فيه بينما ضم المبحث الرابع الجانب الميداني للبحث والمتمثل بالبيانات الأولية للمبوحوثين ثم دراسة الحالات الفردية للمرضى المعتقدين بالسحر كعلاج واخيراً تضمن المبحث الخامس على النتائج والتوصيات والمقترحات ثم المصادر والمراجع.

المبحث الأول : الإطار النظري والمنهجي للبحث : أولاً: تحديد مشكلة البحث:

يعتبر السحر من الطقوس التي لا تمثل جزءاً من شعائر العبادة المنظمة ، فالسحر طقس سري وغامض ويميل نحو الطقس المحرم ولاشك ان جذور العقائد والممارسات السحرية قديمة قدم حياة الإنسان على الأرض لارتباطها بتفكيره في الحفاظ على النوع الإنساني واستمرار الحياة البشرية وسنركز خلال حديثنا عن السحر على الممارسات السحرية والمعتقدين بها في مجال التطبيب وعلاج الحالات المرضية (موضوع البحث) ، فالإنسان البدائي عندما كان يصيبه مرض ويؤلمه وهو يجهل سببه يُرجع ذلك إلى تأثير قوى غيبية او غضب الآلهة على البشر أو نقمة الموتى وذلك التفسير يعود الى جهله بأسباب المرض وطريقة تفكيره غير المعقدة والبسيطة وتشخيصه البدائي وغير العلمي للمرض فكان يذهب الى المعبد لتلقي العلاج على اعتبار أن المعابد كانت إضافة إلى كونها مكاناً لممارسة العبادات كان الإنسان البدائي يعتبرها مكاناً للعلاج والتطبيب من هنا كانت بدايات السحر الأولى في مجال الطب والعلاج على يد الكهنة والرهبان في المعابد آنذاك .

وفي مجتمعات اليوم وتحديداً مجتمع مدينة الموصل (مجتمع البحث) نرى ان بعض أفراد المجتمع يذهبون إلى السحرة لعلاج أمراضهم على الرغم من التطور والنقدم التكنولوجي للطب الحديث وجوانب الطب الشعبي الدوائية والجراحية وحتى الروحية الشرعية وعلى الرغم من تحريم الدين الإسلامي للسحر والممارسات السحرية المختلطة بالدجل والشعوذة وذلك قد يعود إلى أمور متعلقة بالشخص المعتقد والمؤمن بدور السحرة العلاجي ، من هنا جاءت فكرة دراسة المعتقدين بالسحر ودوره العلاجي لتحديد خصائصهم الاجتماعية المتمثلة بمستواهم التعليمي والثقافي والديني والاقتصادي والخلفية الاجتماعية لهم في بحثنا منطلقين من التساؤلات الآتية:

هل إن السحر ينفع أساساً في علاج الحالات المرضية ؟ ، وما هي الطريقة التي يتبعها السحرة لعلاج المرضى ؟ ، وما الذي يرسخ إيمان الفرد المعتقد بالسحر ودور الساحر في علاج

الحالة المرضية ؟ ، وهل يقتصر الإيمان والاعتقاد بالسحر على الأميين وذوي المستوى التعليمي الواطئ، ام انه يشمل ذوي المستويات التعليمية العالية ايضاً ؟ ، وهل يرتبط ذهاب الفرد إلى الساحر لعلاج حالة مرضية معينة بالخلفية الاجتماعية والثقافية للفرد وبمردوده الاقتصادي وثقافته الدينية أم لا ؟ ، إضافة إلى العديد من التساؤلات التي تعود على البحث بالفائدة العلمية .

ثانياً: تحديد أهمية البحث:

تتخصر أهمية الدراسة والبحث في الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج للحالات المرضية في جوانب عديدة أهمها :

١. لجوء البعض من أفراد المجتمع الى السحرة والمشعوذين والدجالين للاستفادة منهم لعلاج الحالات المرضية على الرغم من تطور الطب الحديث ووصوله الى ما وصل اليه اليوم من تقدم في النواحي العلاجية والصحية وكذا الحال بالنسبة للطب الشعبي .

٢. الإيمان والاعتقاد القاطع لبعض من افراد المجتمع بالخزعبلات والممارسات السحرية الباطلة على الرغم من انها ليس لها علاقة بعقيدة المجتمع وديانته المسلمة من جهة وعلى الرغم من وجود احدى طرائق الطب الشعبي الروحي كالرقية الشرعية او العزامة التي تعالج المرضى بالقران الكريم من جهة اخرى .

٣. شيوع الممارسات السحرية على نطاق واسع في كافة المجتمعات ومنها مجتمع البحث مجتمع مدينة الموصل ، وعدم اقتصار الاعتقاد بالسحر على الاميين غير المتعلمين وكذلك على غير الملتزمين بالدين والعبادات، بل هناك من المتعلمين ومن المحافظين على أداء الفرائض الدينية ممن يرتادون السحرة لاعتقادهم بدور هؤلاء السحرة لعلاج الحالات المرضية .

ثالثاً: أهداف البحث :

يهدف البحث إلى :

١. حصر مجموعة من الأفراد المعتقدين بالسحر كعلاج للحالات المرضية من مجتمع مدينة الموصل ودراستهم ميدانياً.

٢. الكشف عن الخصائص الاجتماعية لهؤلاء الأفراد المعتقدين بالسحر كعلاج وذلك من خلال :

أ. الوقوف على مستواهم التعليمي .

ب. الوقوف على خلفياتهم ومرجعياتهم الاجتماعية والثقافية والدينية.

ج. تحديد مستوى المبحوثين الاقتصادي والمادي .

رابعاً : تحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه:

قبل الدخول إلى موضوع السكر وتعريفه وبيان ماهيته ، لابد من التطرق الى المفاهيم والمصطلحات القريبة من مفهوم السكر من حيث طبيعة المفهوم وطريقة العمل ونوع الممارسة، ومن هذه المفاهيم (التنويم المغناطيسي ، والعرافة ، والكرامة ، والمعجزة ، والرقية) التي سنتطرق إليها لإيضاح الفرق (التشابه أو الاختلاف) بينها وبين مفهوم السكر .

فالتنويم المغناطيسي يعرف بأنه حالة من الارتخاء وتركيز الانتباه على نقطة معينة مما تجعل الفرد مستعداً لتلقي الأوامر الصادرة من المنوم والعمل بها^(١) فالتنويم المغناطيسي حقيقة لا خيال لكن الناس يفهمونه بشكل مغلوط ومختلف لأنهم يحسبون ان لدى المنوم (الشخص القائم بعملية التنويم) قدرات خاصة كما هو اعتقاد بعض الناس بالسكر وهذا امر غير صحيح ، فالقدرة او الخاصية في حقيقة الأمر تكون لدى الشخص الذي يتم تنويمه وليس لدى المنوم^(٢) .

أما العرافة فهو معرفة الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو المشابهة الخفية التي تكون بينهما أو الاختلاط أو الارتباط على ان يكونا معلولي أمر واحد أو يكون ما في الحال علة لما في المستقبل شرط كون الارتباط المذكور خفياً لا يطلع عليه الأفراد وذلك أما بالتجارب أو بالحالة المودعة في أنفسهم عند الفطرة حيث عبر عنهم النبي محمد ﷺ بالمحدثين المصيبين في الظن والفراسة^(٣)، وعمل العراف هو كتابة بعض الأوراق المليئة بالرموز والطلاسم والتي قد يضيء عليها مسحة دينية لتكون أكثر صدقاً أو بالأحرى ايها طالب السكر بصدقها^(٤) فالعراف في عمله مشابه للساحر من حيث مخالفتهم لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ .

أما الكرامات فهي الأمر الخارق للعادة يجريه الله (سبحانه وتعالى) على يد عبد صالح له متبع للشرع^(٥)، فالكرامة ثابتة لعباد الله الأبرار المتبعين للشرع والسنة والإجماع والعقل وإذا كان العبد غير متبع للشرع أو خارج عن طريق السنة والشرع فيعتبر عمله استدراجاً واهانة وليس صلاحاً وأمانة وبذلك يكون عمله قريباً من عمل السحرة والمشعوذين، وكما للكرامة ذلك الاختلاف عن السكر فان للمعجزة نفس الاختلاف تقريبا، حيث تعرف المعجزة بانها كل خارق للعادة وإنها الأمر الذي يفوق طاقات البشر ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة ليتحدى النبي بها قومه^(٦) والمعجزات عادة برهان ساطع يمنحه الله عز وجل للأنبياء وليس لغيرهم ليثبتوا صدقهم للناس فهي شاهد عدل تخالف العادة المألوفة ولكنها لا تخالف العقل كما في السكر والدجل والشعوذة التي تجعل السحرة والمشعوذين يستغلون افراد المجتمع .

وأخيراً لابد من إيضاح معنى الرقية او الاسترقاء لوجود فرق بينها وبين السكر والشعوذة من ناحية المعنى والمفهوم ، لان الرقية والسكر يقتربان جداً من ناحية الأداء والممارسة لكنهما تختلفان من ناحية الشخص القائم بالعمل العلاجي وطريقته المستخدمة في العلاج والتلاوات

المستخدمة في كلتا الطريقتين من ناحية شرعيتها او غير شرعيتها ، فالرقية هي الطريقة العلاجية التي تكون بقراءة القران الكريم والتوسل بأسماء الله وصفاته وبالادعية الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وان تكون الرقية باللسان العربي الذي يفهم معناه حتى لا يقع المرقي بكلمات الشرك كالكلمات التي فيها استغاثة بأسماء الجن^(٧)، وان أي ممارسة أو عملية علاجية ((روحية)) تقع خارج إطار التعريف الواضح للرقية يعتبر رقية باطلة وغير شرعية ويعتبر سحراً خصوصاً إذا ما تضمن أسماء أو كلمات أو عادات غير مألوفة كما في الرقية .

بعد إعطاء صورة واضحة عن المفاهيم والمصطلحات القريبة من مفهوم السحر وتوضيح الفرق بينها وبينه لابد من توضيح ما يشير إليه مفهوم السحر وما يتضمنه معنىً ومفهوماً وكما يأتي :

١- السحر لغةً :

هو عمل يقرب فيه المرء الى الشيطان وبمعونة منه واصل السحر هو صرف الشيء عن حقيقته الى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه^(٨)، ويقصد بالسحر ايضاً اخراج الباطل في صورة الحق وما لطف مأخذه ودق او عبارة عما خفي ولطف سببه^(٩)، والسحر في عرف الشرع مختص بكل امر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع^(١٠).

٢- السحر مفهوماً واصطلاحاً:

يوحى السحر بالمعنى الضيق الى الكهنة الذين كانوا يمارسون العلاج في المعابد^(١١)، باعتبار الكهنة الوسيط بين المريض والقوى المسببة للمرض حسب اعتقاد الانسان البدائي، حيث كان الكهنة هم من يحتكرون الطب ومعلوماته ويتميزون به عن سائر الناس^(١٢)، وقد عرف العلماء السحر بانه عمل يهدف الى التغلب على القوى التي تتصرف في مصير الإنسان^(١٣)، وان السحر قدرة يمارسها بعض الأشخاص بأساليب يفترض ان تكون فوق ما يحدث بصورة طبيعية وذلك لغرض التأثير على السذج والبسطاء عن طريق القيام بأفعال تبهرهم وتوجب اندهاشهم^(١٤)، ويرى (فان جنيب) ان السحر هو الشعائر التي يقوم بها أولئك الذين لا يرتبطون بالكنيسة الرسمية لزمان معين ومكان معين^(١٥)، فالسحر إذن يسعى من خلاله السحرة لأحداث تأثيرات بوسائل غير متناسبة استناداً بغير الله سبحانه وتعالى.

وقبل إعطاء تعريف إجرائي للسحر لابد القول أن الفرق بين الرقية الشرعية المتمثلة بالعزامة والاسترقاء ، والرقية غير الشرعية المتمثلة بالسحر والشعوذة والخزعات يكمن في ذات الإنسان المعتقد بالسحر أو المستفيد منه الذي يجب أن يفرق في داخل نفسه وعقله بين العملية

الدينية والعملية السحرية ، فإذا كان في نفسه وهو يقوم بالعملية معتقداً انه خاضع لقوى خفية روحية يستخدمها لكي تحقق له مطلباً معيناً فهو في هذه الحالة في مجال الدين^(١٦)، أما إذا كان يعتقد أن الكون خاضع لقوى روحية خفية يستطيع أن يسخرها لخدمته إذا قام بطقوس خاصة ويستطيع من خلال هذه الطقوس إخضاعها لإرادته فهو في هذه الحالة في مجال السحر^(١٧)، فالدين خضوع للقوى الروحية واستجداؤها لتتصرف والسحر إخضاع للقوى الروحية وجعلها تتصرف من خلال القيام بطقوس خاصة تؤثر عليها^(١٨).

٣- تعريف السحر إجرائياً:

السحر هو تلك الطقوس والممارسات غير المقبولة دينياً وغير المألوفة اجتماعياً ، والتي يعتقد بها البعض من أفراد المجتمع ظناً منهم بفائدتها العلاجية والطبية لعلاج الحالات المرضية .

المبحث الثاني : السحر في الميدان الطبي :

أ- البدايات التاريخية للسحر في مجال العلاج والتطبيب :

لقد اختلفت آراء العلماء والمفكرين في تحديد بدايات نشوء الطب وتكويناته الاولى ، ولكن فريقاً من هؤلاء العلماء والمفكرين ذهبوا الى ان الإنسان البدائي ادرك بالتجربة والحيلة كيف يحمي نفسه من المشاكل والأمراض والصعاب ، على الرغم من انه أي (الإنسان البدائي) اصابته الحيرة والاستفهام في تلك الأمراض التي تنشأ في داخله دون سبب ظاهر فتوجعه وتؤلمه وتضنيه^(١٩)، فأرجع اسباب تلك الأمراض تارة الى غضب الآلهة على الإنسان بسبب ما ارتكبه من آثام^(٢٠)، وتارةً بنقمة الموتى على الأحياء وإصابتهم بالامراض^(٢١)، وتأثير ارواح الشر والخوارق التي تنقص جسد الانسان وتعبث فيه فساداً تارة اخرى^(٢٢).

انطلاقاً مما تقدم لجأ الانسان البدائي الى المعابد والى الكهنة كما اشرنا سابقاً باعتبارهم أي (الكهنة) الوسيط بين المريض والقوى المسببة للمرض اضافة الى تميزهم بالطب عن سائر الناس، فبدأ الإنسان البدائي باستخدام السحر لطرد الأرواح وذلك باستخدام التعاويذ وقراءة الطلاسم السحرية^(٢٣)، وهكذا تكون الطب البدائي من القليل من المبادئ الصحيحة والكثير من السحر والشعوذة مصحوبين احياناً بالطقوس الدينية او العقائدية المختلفة^(٢٤)، فمثل السحر الحقة الأولى من حقب الطب^(٢٥) وكانت البدايات الأولى للسحر في مجال التطبيب والعلاج .

ب. الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج للحالات المرضية :

قبل الدخول إلى موضوع الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج لا بد القول أن البعض من أفراد المجتمع الذين يذهبون إلى السحرة والمشعوذين يعتقدون بتأثيرهم في مجالات عديدة وجوانب شتى لذلك نرى أن السحر ينقسم إلى أقسام عديدة وحسب التأثير الذي يعتقد به المستفيد منه والمعتقد به^(٢٦) وبما أننا في صدد دراسة الطقوس السحرية وتأثيراتها المتعلقة بعلاج الأمراض فإن السحر في هذا المجال يأخذ اتجاهين أو جانبين أحدهما هو جانب السحر الوقائي الذي احد أصنافه (سحر لشفاء الأمراض) والآخر هو السحر المدمر واحد أصنافه هو (سحر للإصابة بالأمراض) أي للتأثير على الآخرين بفعل عمل أو طقس سحري معين^(٢٧)، وان التطرق إلى دراسة مثل هذا الموضوع يتعلق بمجموعة من صراعات القيم في ثقافة الفرد والمجتمع وكذلك في حالة اللاتجانس الثقافي والاجتماعي والاقتصادي التي تعاني منها المجتمعات النامية عامة فالمرضى وجماعته المرجعية يكونون أمام خيارات علاجية توجهها قيمهم وثقافتهم^(٢٨) ومجموعة من خصائصهم الاجتماعية التي تحدد توجههم إلى السحر للاعتقاد بالاستفادة منه علاجياً.....وكما يأتي :

١- الخلفية الاجتماعية للمريض:

قد تؤثر الخلفية الاجتماعية للمريض على اعتقاده بالسحر وتصديقه له وذلك بفعل البيئة التي يعيش فيها الأفراد والجماعات المرجعية الموجودة في تلك البيئة سواء أكانت قروية أو حضرية^(٢٩) تلك الجماعات التي تفرض على الفرد (المريض) أو تؤثر عليه في اختيار الجهة التي يتعامل معها لعلاج مرضه، فالمرجعية الاجتماعية للفرد (المريض) وأفراد بيئته تخلق رؤية الثقافة الشعبية للمرض وأسبابه التي تختلف بطبيعتها عن الرؤية الطبية الحديثة^(٣٠) في النظر إلى الحالة المرضية والتماس الخلاص منها بأي سبيل بما في ذلك السحر .

٢- المستوى التعليمي للمريض:

هناك الكثير من الأمراض التي لا تملك دليلاً طبيياً واضحاً وهذه الأمراض عادةً ما تكون ناتجة عن إصابة الشخص المريض بسحر أو عين أو حسد أو حالة من حالات المس أو غيرها من الإصابات والأمراض التي لا ينفع الطب الدوائي في علاجها^(٣١) حسب اعتقاد المريض ، فقد فقد يلجأ المريض في مثل هذه الحالات إلى جوانب علاجية أخرى بما فيها السحر طلباً للعلاج^(٣٢) وذلك الأمر لم يعد يقتصر على المستويات الشعبية الدنيا وإنما امتد ليشمل مستويات تعليمية عالية تصل إلى مستوى أساتذة الجامعات خاصة إذا ما اصطبغ العلاج الشعبي المقدم من قبل السحرة في هذا المجال بالصبغة الدينية أو تستر وراءها^(٣٣)، فالكثير من المتعلمين

والمثقفين بضمنهم أساتذة الجامعات يعتقدون بالسحر كعلاج للمرض^(٣٤)، بل ويعتقدون بشفاء الأمراض على أيدي السحرة عن طريق نفر من الجن الذين يأتمرون بأمر هؤلاء السحرة^(٣٥).

٣- الجانب الديني أو الثقافة الدينية للمريض :

من الخطأ أن توضع جميع الرقى والتعاويذ داخل إطار السحر خاصة إذا ما نظرنا إلى الأمر بقليل من المعرفة والمنطق والتفكير^(٣٦)، فهناك (رقى وعزيمات) شرعية تنطلق من المنطق الديني الصحيح الذي يستند إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) في مخاطبته للروح والبدن والجسد^(٣٧) ويعالج حالات المس بالجن والوسوسة والنزغ وغيرها من الأمراض والإصابات بالمقابل وبطريقة غير شرعية يوجد السحرة والمشعوذون وطقوسهم السحرية التي يلجأ إليها بعض الناس لعلاج نفس الأمراض^(٣٨)، ويتوقف اللجوء في علاج المرض في كلتا الحالتين على الثقة الكاملة والإيمان القاطع للشخص المريض الذي يعتقد بتأثير السحرة والطقوس التي يمارسونها لعلاج تلك الأمراض^(٣٩).

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن الاعتقاد بالسحر والتصديق به كعلاج للأمراض قد يتعلق بالحالة الاقتصادية للمريض^(٤٠)، أو قد يتعلق الأمر حسب وجهة نظر الفرد المعتقد بالسحر بصعوبة شفاء الحالة المرضية أو استحالتها إلا إذا لجأ ذلك الفرد إلى السحرة ، وذلك تبعاً لنظرة الفرد إلى الحالة المرضية بصورة أكثر تعقيداً وغير علمية تماماً وهذا ما كان يعيشه الإنسان البدائي^(٤١) أو قد يعود الأمر إلى الإمكانية التي يمتلكها الساحر للإيقاع بالمريض واستغلاله وإيهامه وذلك باستخدام بعض العبارات والكلمات التي يتوهم المريض بأن الساحر من خلالها يكون على علاقة بأشخاص غيبيين لهم قدرة السيطرة على الإنسان خصوصاً إذا ما كان المريض خائفاً من حالته المرضية وتدهورها^(٤٢)، وقد يشفى المريض فعلاً من مرضه عن طريق غير شرعي وغير مقبول اجتماعياً ودينياً ويحصر أمر العلاج بذهابه إلى السحرة^(٤٣)، بالإضافة إلى العديد من الأمور التي تدفع الشخص المريض إلى الاعتقاد بوجود دور علاجي للسحر ويصدق به.

المبحث الثالث : الجانب الميداني للبحث ١. مناهج البحث :

استخدم الباحث منهج دراسة الحالة حيث قام بدراسة حالات مرضية فردية لعشرة أفراد من مجتمع مدينة الموصل المعتقدين بدور السحر والسحرة في علاج الأمراض ، وكذلك استخدم المنهج الانثروبولوجي بنزوله إلى ميدان البحث واحتكاكه بالواقع الاجتماعي وبالجماعة المدروسة وضرورة استنباط المعلومات من الواقع اليومي للفرد قبل أن يُدَوَّن ملاحظاته حول ثقافتهم (أي الأفراد) وكذلك النظرة الشاملة والعمومية للفرد وعلاقته بالبيئة وتأثيره عليها أو تأثره بها ومن ثم اخذ التصور الكامل عن الفرد المدروس والظاهرة موضوع البحث .

٢. أدوات البحث :

إن الباحث لم يعتمد في تدوين معلوماته البحثية وتسجيل الحالات الفردية على الملاحظة والمشاهدة أو على المقابلة فقط ، بل أضاف إلى ذلك اعتماده على الإخباريين من أهالي المنطقة أو الأقارب أو الأصدقاء بحكم علاقة الإخباري بالفرد المدروس لكي يحصل الباحث من خلال ذلك على معلومات أوضح وأدق مما تسمح به ملاحظة الباحث أو مقابله للمبحوث فقط ، الأمر الذي سهل على الباحث الحصول على إجابات صريحة وواقعية .

٣. عينة البحث:

كانت عينة البحث قصدية حيث حصر الباحث عينة المرضى فقط ممن يعتقدون بوجود دور علاجي للسحر والسحرة ، فقد درس البحث (١٠) حالات فردية لمرضى يعتقدون ويؤمنون بالسحر كعلاج للحالات المرضية .

٤. مجالات البحث:

- ١- المجال البشري : انحصر المجال البشري بمجموعة أفراد من مجتمع مدينة الموصل .
- ٢- المجال المكاني : أما المجال المكاني للبحث فهو مدينة الموصل .
- ٣- المجال الزمني : في حقيقة الأمر امتدت الفترة الزمنية للدراسة لأكثر من سنة ونصف لجمع الحالات المرضية ولكن تسجيل هذه الحالات وحصرها كان منذ ٢٠٠٨/٢/٥ م ولغاية ٢٠٠٨/٦/٧ م .
- ٤- الوسائل الإحصائية المستخدمة في البحث : استخدم الباحث النسبة المئوية والوسط الحسابي والانحراف المعياري ووسائل إحصائية في البحث .

المبحث الرابع : عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية :
أولاً: البيانات الأولية :

يبين الجدول بيانات المبحوثين الاولية

النسبة المئوية	التكرار	البيانات الأولية
30%	3	الجنس: ذكر
70%	7	أنثى
20%	2	العمر: 30.21 سنة
30%	3	40.31 سنة
30%	3	50.41 سنة
20%	2	60.51 سنة
30%	3	الدخل الشهري: 449.300 ألف دينار
30%	3	599.450 ألف دينار
10%	1	749.600 ألف دينار
30%	3	899.750 ألف دينار
30%	3	المستوى التعليمي: أمية
20%	2	ابتدائية
30%	3	متوسطة
20%	2	معهد أو جامعة
80%	8	الحالة الزوجية : متزوج
10%	1	أعزب
10%	1	أرمل
40%	4	الحالة الاجتماعية: ريفي
60%	6	حضري
100%	10	المجموع

يبين الجدول أعلاه أن نسبة الإناث أكبر من نسبة الذكور وهذا يعود إلى التركيبة البيولوجية للإناث واندفاعهن العاطفي نحو التصديق لكثير من الأمور عن الرجال ، وقد بلغ متوسط أعمار المبحوثين 40.5 سنة بانحراف معياري قدره 10.2 سنة حيث يعطي متغير العمر تصوراً عن خبرة المبحوث ومستواه العقلي في مثل هذا العمر كما موضح في الجدول للتعامل مع مثل هذه الظاهرة-موضوع البحث ، أما متوسط الدخل الشهري للمبحوثين فقد بلغ 584.5 ألف

دينار بانحراف معياري قدره ١٨٠ ألف دينار ، أما بالنسبة للمستوى التعليمي فلم يقتصر الاعتقاد بالسحر كعلاج على الأميين فقط بل شمل ذوي المستويات التعليمية المتمثلة بالابتدائية والمتوسطة والمعهد والجامعة ، وقد تبين أن ٨٠% من المبحوثين هم من المتزوجين و ١٠% عزاب و ١٠% منهم أرامل ، وأخيراً فإن الخلفية الاجتماعية تعكس جانباً من التأثير البيئي والاجتماعي على الفرد وأفكاره الاجتماعية وكذلك الموروث الاجتماعي والديني وما يفرضه على عقلية المبحوث .

ثانياً: دراسة الحالات الفردية لبعض المرضى من مجتمع مدينة الموصل :

١. السيدة ح.م.ح. : متزوجة ، عمرها ٥٢ سنة ، ريفية ، خريجة ابتدائية ، زوجها صاحب محل يقدر دخل عائلتها الشهري (٧٥٠.٠٠٠) ألف دينار ، تقول أنها بدأت ذات يوم تشعر بأوجاع وآلام في ثديها الأيسر فلم تعط للأمر أي أهمية وإنما اكتفت بإرجاع الأمر إلى عين إصابتها كونها حسب إشارتها إلى ذلك لها عشرة أولاد وقد أرضعتهم دون ان تشعر بتعب أو حاجة لشيء فذهبت إلى إحدى المعزومات في منطقتها السكنية وشعرت بتحسن في صحتها إلا أنها بقيت تعاني من بعض الالتواءات البسيطة والآلام الخفيفة على حد قولها بعدها بأيام ذهبت إلى إحدى أخواتها في قرية الشورة وتحدثت لها عن الأمر فأبلغتها بأن هناك شخصاً يعالج أمراض الحسد والإصابة بالعين وغيرها لأنها وافقت أختها المريضة بان الأوجاع سببها حسد أو عين أصابتها فذهبت وأختها إلى ذلك الساحر الذي بعد أن سمعها كتب لها ورقة وادخلها في إناء فيه ماء ثم أعطها إياه لتشربه وكذلك أعطها وصفة عشبية معينة من الأعشاب الموجودة عنده ونصحها بان ترش الملح أمام باب دارها، بعد فترة وجيزة عادت آلامها وأوجاعها بقوة وبدأت تشعر بتوعك شديد وعندما أخذها زوجها واحد أولادها إلى الطبيب ليجري لها معاينة قال بان الأمر بسيط وأنها مجرد التهابات بسيطة حسب بعض الفحوصات المخبرية التي أجرتها ثم أخذها زوجها إلى طبيب آخر فنصحها بأخذ مجموعة من الفحوصات المخبرية وفحص أشعة الرنين فظهرت النتيجة التي فحواها أن المرأة مصابة بسرطان في الثدي وهو في بدايته ويجب أن يستأصل ذلك الثدي خوفاً من انتشار المرض ، وفعلاً خضعت للعملية بسرعة واستأصل الأطباء ثديها ونجحت العملية وهي الآن بصحة جيدة .

٢. السيد م.ص.م. : متزوج ، عمره ٤٣ سنة ، حضري ، خريج متوسطة ، يمارس الأعمال الحرة ، يقدر دخله الشهري بـ ٤٥٠.٠٠٠ ألف دينار ، ذهب في إحدى الليالي مع أخيه إلى بيت عمه وكان اعزباً حينها وكان في بيت عمه (ابنة عمه) التي تحبه وهو بالمقابل لم يعط للأمر أهمية تذكر لأنه كان يريد الزواج بغيرها ، بعد عودته إلى البيت وفي تمام الساعة

الثالثة صباحاً استيقظ من نومه وهو يعاني من ارتفاع درجات الحرارة والتقيؤ الشديد ويتكلم مع والدته ويقول لها ان هناك اشخاصاً يضحكون عليه وان إحدى عينيه انكسرت وعليه إصلاحها ، شعرت والدته بالخوف من الكلام الذي يقوله لأنها لم تتعود أن تسمع من هذا الابن الذي كان يتميز بمزايا العطف والحنان والود والبساطة مثل هذه الأمور وأحست بان الأمر هو مكيدة مدبرة لابنها فأيقظت أخاه الذي يكبره سنّاً والذي استخدم كل الوسائل بما فيها الضرب لإيقافه إلا انه لم يصل إلى نتيجة ، وفي اليوم التالي ذهب المريض وأخوه مع احد كبار السن من منطقتهم إلى احد السحرة الذي يمت بصلة قرابة لعائلة المريض وهو في منطقة الفاروق فأوضح لهم ذلك الذي يدعونه (سيد) أن المريض مصاب بعمل (سحر) وان العمل قام به احد المقربين وان هناك ساحراً يقف وراء هذا العمل ووصف لهم بيت ذلك الساحر فذهب المريض وأخوه ومعهم الرجل كبير السن واثنان من إخوة المريض ووجدوا ذلك الساحر على الوصف الذي وصفه قريبهم (الساحر) وبطريقة أو بأخرى اعترف الساحر انه تقاضى مبلغاً من المال مقابل قيامه بهذا العمل وأعطى مواصفات البنات التي أتت إليه ومعها امرأة كبيرة في السن وتبين أنها ابنة عم المريض وقام الساحر بإبطال السحر الذي قام بعمله حسب إشارة المريض وذويه لذلك ، وفي ليلة نفس اليوم ظهرت مرة ثانية تلك الأعراض وبدأ المريض يهلوس ويتكلم بأشياء غريبة ولما أخذه أهله إلى نفس الساحر في منطقة الفاروق أوضح لهم ان عمل السحر أثار عليه بصورة قوية وعلى أثرها أصيب بتلبس فقرأ عليه العبارات الدينية وغير الدينية (الآيات القرآنية وقراءة البرهنية*) بعدها أصبحت حالة المريض طبيعية من الناحية الصحية حسب ادعائه ذلك، لكنه من الناحية النفسية والشخصية على حد قول ذويه بدأ يثير المشاكل ويتعصب لأبسط الأمور وتخلي عن أداء الفرائض الدينية بعد أن كان متمسكاً بها وادعى المريض انه كلما فكر بالصلاة أو الصوم أو قراءة القرآن شعر بأوجاع قوية في رأسه وهو اليوم يفطر في رمضان ولا يصلي ولا يقبل أي نصيحة من احد في مراجعة احد الأطباء أو احد المعزمين المعالجين بكتاب الله عز وجل (القرآن الكريم).

٣. السيدة س.ذ.ي. : متزوجة ، عمرها ٥٠ سنة ، حضرية ، خريجة ابتدائية، زوجها نجار موبيليات يقدر دخله الشهري بـ ٥٠٠.٠٠٠ ألف دينار ، تزوجت هذه السيدة بالسيد أ.م. منذ بداية السبعينات تقريباً وكانت لديها حالة أنها كلما ترزق بطفل ويصل عمره إلى تسعة أشهر

* البرهنية: يقال لها بالعامية (الجنجولوتية) ونصها كما سمعها الباحث برهتيهن برهتيهن تتليهن تتليهن مزجلين مزجلين بزجلين بزجلين خوطيرين خوطيرين كيدھولا كيدھولا قزمزين قزمزين بشكيلخ بشكيلخ تورانن تورانن كهكھيزن كهكھيزن ثم يقول الساحر بعدها اخرجوا حتى يراكم الناظر بعينه ويخاطبكم بلسانه اخرجوا لعنكم الله.

أو اقل أي قبل أن يبلغ التسعة أشهر يموت فراجعت أطباء في محافظات مختلفة من القطر لترى السبب فأوضح لها بعض الأطباء أنها مصابة بداء يدعى (الغنيم) وهو أن الطفل يأخذ نمواً لكنه لا يستمر في العيش أكثر من تسعة أشهر واستمرت على هذه الحالة حتى عام ١٩٨٤ وقد بلغ عدد الأطفال الذين فقدتهم حتى تلك الفترة (٩) أطفال على أثرها راجعت احد السحرة في منطقة سنجار فوصف لها نوعاً من الأعشاب الطبية الذي اشترته من عطاريته الخاصة وبمبلغ كبير من المال وقرأ عليها البرهنية وأعطاه حجاباً حذرهما من فتحه على حد قولها بعدها رزقت تلك المرأة بولدين وبنيت واحدة لازالوا يعيشون معها حتى هذه اللحظة وقد صادف أن التقى بها الباحث عند احد السحرة وهو يسجل الحالة الخامسة التي سيتم ذكرها وحين سألها عن مدى اعتقادها بدور السحرة العلاجي قالت إن الساحر أو الطبيب أو العشاب أو غيرهم هم أسباب لعلاج من الله سبحانه وتعالى للشفاء من المرض .

٤. سنذكر في هذه الحالة حالة مرضية فيها شيء من الغرابة وهي لشاب اسمه ي.و.ج. أعزب ، عمره ٢٧ سنة ، حضري ، خريج ابتدائية ، يعمل في شركة لبيع اللحوم ، كان هذا الشاب يبيت في الشركة ليلاً ليتقاضى اجر حارس الشركة ليلاً إلى جانب عمله في الشركة نهاراً مقابل اجر أيضاً ، ادعى ذلك الشاب انه منذ مبيته في الشركة وحتى هذا اليوم يسمع أصواتاً غريبة في الليل في الغرفة التي يبيت فيها أو في الشركة وعندما يخرج ليجد مصدر الصوت لا يرى أي شيء وأي مصدر ينبعث منه ذلك الصوت وقد ارجع الأمر إلى وجود نفر من الجن في تلك الشركة وابلغ صاحبها بما يراه فقال له صاحب العمل انه يتخيل ذلك لأنه يبقى وحده ليلاً ، وعندما كان يأتي هذا الشاب إلى البيت يروي لأهله ما يرى وما يسمع كانت زوجة أخيه السيدة ز.م.س. متزوجة ، عمرها ٢١ سنة ، ريفية ، أمية ، زوجها عامل بناء دخله الشهري ٤٠٠.٠٠٠ ألف دينار ، هي أكثر من تأثر بقصته وشعرت بالخوف منها على حد قولها بحيث أنها أصبحت تخاف الخروج ليلاً إلى أرجاء البيت أو إلى المطبخ أو ما شابه ، وفي إحدى الليالي الممطرة ذهبت لسطح البيت لوحدها لجمع ملابس أطفالها وعندما تأخرت ذهبت والده زوجها لترى سبب تأخرها فوجدتها مرمية على الأرض ومغشياً عليها فنادت زوجها وأولادها لينزلوها ، وبعد أن أفاقت السيدة ز.م.س. بدأت بالصراخ والبكاء وقالت بأنها شعرت بشيء يلاحقها أثناء صعودها السطح وعندما أرادت أن تلتفت شعرت بضربة قوية ولا تعرف ما حصل بعدها وبقي حالها هكذا لأسبوع تقريباً وازدادت حالتها سوءاً فأخذها عمها (والد زوجها) إلى احد السحرة وتحدث له عن حالة زوجة ابنه وعن ما كانت تعاني منه فقال لهم الساحر إنها مصابة بتلبس وان وجع الرأس والقلق والتوتر الذي تعاني منه سببه هذا التلبس فكتب لها مجموعة من الآيات القرآنية والكلمات التي تقول المريضة إنها لم تفهمها لا هي ولا عمها، كتبت هذه الآيات والكلمات على إناء بلاستيكي ثم وضع فيه الماء إلى أن

اختلفت الكتابة أي اختلط حبر الكتابة بالماء وابلغ ذلك الساحر عم المريضة بأن يرش ذلك الماء في أنحاء البيت ويرش معه الملح أيضاً وفعلاً قام الرجل بذلك علماً انه رجل يحافظ على صيامه وصلاته ويؤدي الفرائض الدينية على وجهها الصحيح ، ادعت المريضة انها بعد ذلك شعرت بتحسن وأصبحت بصحة جيدة ولكنها حتى يومنا هذا ليس لها الجرأة بالصعود إلى سطح المنزل ليلاً أو الخروج حتى إلى المطبخ إلا أن يكون معها احد أفراد عائلتها في البيت الذي تعيش فيه.

٥. السيدة ب. أ.س.: متزوجة، عمرها ٣٧ سنة ، حضرية ، خريجة معهد ، موظفة في إحدى المؤسسات الحكومية ، زوجها صاحب محل ، عمره ٤٠ سنة ، ريفي ، خريج ابتدائية ، دخلها الشهري يبلغ ٤٥٠.٠٠٠ ألف دينار ، تزوجت هذه السيدة بالسيد ح. م. قبل ثمان سنوات تقريباً أي عام ٢٠٠٠ م تحديداً، وبعد أن مرت خمس سنوات على زواجهما ولم تتجب السيدة ب. أ.س. اطفالاً راجعت زوجها الأطباء لمعرفة سبب عدم الحمل ، وبعد إجراء الفحوصات الطبية ارجع بعض الأطباء السبب إلى وجود العقم في الزوج وبعضهم الآخر أرجعه (أي سبب العقم) إلى الزوجة ووصفوا لهم العديد من العلاجات على حد قولهما ولكن دون جدوى ودون أي تطور علاجي أو صحي يذكر ، بعدها سلكت هي وزوجها جميع الطرق المؤدية للعلاج من طب حديث وأعشاب وحجامة وزيارة أضرحة وبدون نتيجة تذكر ثم ذهبا الى احد السحرة وبيننا له ما يعانين منه فكتب لهما حجاباً ووصف لهما وصفة علاجية محتواها (خلط مئة غرام من العسل الأحمر مع كمية مقاربة للوزن من السقرقور* وكذلك القليل من الحبة السوداء المطحون ويتناولانه) وأمرهما على حد قولهما بحرق نوع من البخور في غرفة نومهما وفي أرجاء منزلهما فطبّق السيد ح.م. وزوجته ما أراده ذلك المدعو (السيد) أو (الشيخ) حسب دعوة المريض له ، لكن ذلك لم يحدث أي تأثير علاجي ، وقد عبر المريض عن أسفه وهو يتحدث عن حالته لان ذهابه وزوجته إلى الساحر لم يجد نفعاً علاجياً أو تطوراً صحياً مقابل المال الذي دفعه وكذلك لأنهما يصومان ويصليان وفي مقابل ذلك لم يتركا الأمر على انه مقدر من الله سبحانه وتعالى.

٦. الشاب أ.د.ر.: أعزب ، عمره ٢١ سنة ، حضري ، خريج متوسطة ، لا يمارس أي عمل، له أخ يكبره سنّاً ووالده على قيد الحياة ، كان هذا الشاب مولعاً بمشاهدة التلفزيون وكان دائماً ما يبقى لأوقات متأخرة من الليل لمتابعة الأفلام والبرامج التلفزيونية ، يقول انه في احد الليالي بينما كان يشاهد التلفزيون أحس بشيء يتحرك في جسده فشعر بالخوف منه بعدها يقول ان

* السقرقور:- هو نوع من الأعشاب الطبية يستخدمها السحرة لعلاج أمراض العقم حسبما مبين في الحالة الخامسة.

حرارة جسده بدأت ترتفع وبدأ يشعر بالتوعك والتوتر فأيقظ والدته ووالده، يقول والده انه بعد دقائق قليلة فقط فقد ابني وعيه بعد أن كان تعرق مرة ويرتجف مرة أخرى فنقلوه إلى المستشفى بطريقة او بأخرى وتأخرت عملية نقله للظروف الآنية التي نعيشها ، بعدها استعاد المريض وعيه وبقي راقداً في المستشفى لمدة ثلاثة أيام بعدها قال الطبيب انها والله اعلم حالة تلبس لأنه لا يوجد دليل ظاهر لمرض عضوي او اضطراب صحي ، يقول شقيق المريض انه اخذه الى احد السادة المعروفين على حد قوله (وهو احد السحرة لأنه لم يكن يعالج بكتاب الله عز وجل) وطريقة العلاج تبين ذلك فطالبهم بأن يجلبوا لهم بخوراً اسمه (كندر) لحاجة الطقس العلاجي لذلك فأتوا به وأشعله ووضعه بالقرب من المريض الذي استلقى على الأرض وغطاه الساحر بعباءة وطلب عصا (خيزران) لم تستعمل سابقاً أي إن هذا المريض أول من يضرب بها، وكان مع ضربه بالعصا للمريض يقرأ عبارات يقول شقيق المريض انه لم يكن يفهمها وقد تكون البرهتية التي اشرنا إليها في الحالة الثانية، ويقول انه بعد هذه العبارات صرخ الساحر بصوت مرتفع اخرج ايها الملعون وانزل حتى يراك الناظر بعينه ويخاطبك بلسانه ، يدعي المريض انه بعد ذلك شعر بان وضعه الصحي بات جيداً وانه لم يعد يشعر بأي شيء يتحرك في جسده أو أي ألم وهو اليوم متمسك بأداء الصلاة في وقتها ولا يضيع ادائها في الجامع في اغلب الأحيان .

٧. السيدة ل.ن.ع. : متزوجة ، عمرها ٣٣ سنة ، حضرية ، تحصيلها العلمي بكالوريوس ، زوجها كان عسكرياً وهو الآن صاحب محل يقدر دخله الشهري بـ ٣٠٠٠.٠٠٠ ألف دينار، هذه السيدة تزوجت بالسيد م.س. منذ (١٢) سنة ، بعد زواجهما بسنتين أو أكثر بدأت بمراجعة الأطباء لأنهما لم يرزقا بطفل وارجع الأطباء السبب الى الزوج كونه تعرض عندما كان عسكرياً لاشعة ليزر على حد قوله ، مع ذلك طلب منهما إجراء الفحوص المختبرية واثبت لهما ان الرجل هو من يعاني من العقم وكتب لهما مجموعة من العلاجات تقول السيدة وزوجها أنها وبعد فترة من الزمن لم يكن هناك شيء يدل على علاج او تطور صحي بعدها وصف لهما احد أقربائهما شخصاً (ساحراً) يعالج مثل هذه الحالات على حد قوله فذهبا إليه وتحدثا عما جرى معهما فوصف لهما ذلك الساحر علاجاً يتضمن مجموعة من الأعشاب الطبية والعسل والحبّة السوداء وأعطاهما شريطاً مسجلاً فيه آيات وسور من القرآن الكريم ونصحهما بان يسمعانه اغلب أوقات النهار والليل وأمرهما أيضا بحرق البخور والفكة الذهبية ورش الملح في البيت لسبعة أيام يقول السيد م.س. إن هذا العلاج كلفهما مبلغاً من المال ومع ذلك رجعا إلى الشخص المعني أكثر من مرة لتلقي العلاج وفي كل مرة يضع ذلك المبلغ من المال مقابل العلاج وكأنه يريد شراء شيء ما ، ومازال الزوجان حتى الآن لم يرزقا بطفل وقد تركا الأمر بدون مراجعة أي طبيب أو أي ساحر ولم يأخذا أي علاج .

٨. السيدة س.ف.م. : متزوجة ، عمرها ٣٦ سنة ، ريفية ، أمية ، زوجها مالك لمجموعة من حقول الدواجن والسيارات الكبيرة يقدر دخله الشهري بـ ٨٠٠٠.٠٠٠ ألف دينار ، في يوم من الايام دخلت هذه السيدة للاستحمام ليلاً وكان ذلك اليوم هو يوم الأربعاء تحديداً ويبدو أنها تربط سبب ما أصيبت به بليلة يوم الأربعاء تقول أنها كانت بصحة جيدة قبل دخولها إلى الحمام ولكنها ما ان بدأت بوضع الماء على رأسها حتى بدأت تصرخ وبصوت عالٍ جداً إلى ان اتى اهل بيتها (والدة زوجها وشقيقته) وأخرجوها إلى غرفتها وكانت حينها قد فقدت الوعي اخذها زوجها مباشرة الى المستشفى القريب جداً من بيتهم وعندما أفأقت من وعيها بقيت تصرخ وتبكي وتقول ان ما أصابها هو عمل (سحر) قامت به زوجة شقيق زوجها كما ادعت ذلك لانها كانت عندها في ذلك اليوم قبل الحادثة ، فذهبت على اثر ذلك إلى احد السحرة واخبرته القصة بكاملها وشكوكها بزوجة شقيق زوجها فأيدها بذلك وقال لها بأنه عمل سحر لإصابتك بمرض أو ما شابه ، وقام بأخذ قطعة من الحنثيت* والفكة الذهبية ومزجهما واحرقهما في النار وكان يدور بهما حول المريضة ويقراً المعوذات ، تقول المريضة بعد ذلك أنها بقيت تعاني من نفس الشيء فذهبت الى ساحر آخر فقال بعد سماعه لها انها حالة تلبس وليس عمل سحر كما قيل لها فأتى بكمية من الملح وقرأ عليها التلاوات والقراءات وقال لها بان ترشها في أرجاء منزلها وأمام الباب ففعلت ما طلبه منها وادعت بعد ذلك انها شعرت بتحسن ولكنها مع ذلك لازالت في بعض الأحيان تعاني من أوجاع رأس شديدة وبصورة مفاجئة ، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه الزوجة كانت تعاني من المشاكل مع زوجها وقد وصل الامر في كثير من الأحيان إلى الطلاق ولكن حياتهما مستمرة معاً حتى الآن.

٩. السيد ع.ح.: متزوج ، العمر ٥٣ سنة ، حضري ، خريج متوسطة ، يقدر دخله الشهري بـ ٤٠٠٠.٠٠٠ ألف دينار ، يقول انه في بداية سن الخامسة والثلاثين كان يشعر بأوجاع شديدة بالرأس لكنه لم يكن يعطٍ للأمر أي أهمية بل انه كان يكتفي بأخذ الحبوب البسيطة المسكنة لأوجاع الرأس ولكن الأمر لم يكن لينتهي بعد ذلك بل ازدادت آلامه وأوجاعه في الرأس على اثرها راجع احد الأطباء وكان حينها في بغداد فأجرى له المعاينة والتشخيص واخبره بان المرض الذي يعاني منه هو داء الشقيقة بعد أن أجرى له عملية جراحية ناجحة ووصف له العلاج على ان يأخذه بصفة دورية، فأحس حسب ادعائه بتحسن في صحته وذهبت تلك الأوجاع والآلام التي يعاني منها، وقبل فترة زمنية يقول أن أوجاعه بدأت تعود إليه وعندما اراد البحث عن نفس الطبيب الذي عالجه في المرة الأولى كان ذلك صعباً للغاية فأين يمكن

* الحنثيت :- هو شيء مبهم بالنسبة للباحث ، لكن السحرة يستخدمونه لعلاج الأمراض حسب قولهم وقد أشار إليها احد السحرة بأنها تمثل علاجاً فعالاً مع الفكة الذهبية ويطلق عليها اسم (الجويفة) .

ان تجد شخصاً تبحث عنه بعد (١٨) سنة ناهيك عن الظروف التي يمر بها بلدنا فلجأ إلى احد الأطباء في مدينة الموصل وتحدث له عما يشعر به فقال له الطبيب أنها مجرد تشنجات وانه لا وجود لمرض داء الشقيقة وانه فعلاً عولج تماماً، وعرض نفسه على طبيب آخر فقال له ان أوجاعه وآلامه تعود الى التفكير بالمرض والوسوسة والقلق فعاد من الطبيب وذهب في نفس اليوم الى احد السحرة وتحدث له عن ما يعاني منه فأخبره ذلك الساحر بأنها حالة تلبس وكتب له حجاباً كعلاج واقٍ وقرأ عليه التلاوات والأدعية ونصحته بحرق نوع من البخور (الذي لا يتذكر المريض اسمه) في أرجاء المنزل لمدة سبعة أيام وكذلك قرأ التلاوات والأدعية على كمية من الماء في إناء معين ونصحته بأن يشربه كله، يقول المريض بأنه شعر بتحسن وتطور صحي وراحة تامة، ولا يفوتني أن اذكر أن السيد ع.ح. كان من الملتزمين بأداء فريضة الصلاة في الجامع .

١٠. السيدة م.م.ص. : ارملة ، عمرها ٤٨ سنة ، ريفية ، أمية ، لها خمسة أولاد وخمس بنات ، اكبر اولادها خريج كلية التمريض (بكالوريوس) يقدر دخل العائلة الشهري بـ(٨٠٠٠٠٠٠) الف دينار تقريباً، شعرت هذه السيدة يوماً ما بأوجاع وآلام شديدة في رأسها فأخذها ابنها الى الأطباء واجروا لها الفحوصات وشككوا بوجود مرض داء الشقيقة لكن احد اقربائها من بغداد اعلمها بوجود طبيب ممتاز في علاج الامراض الحساسة التي في الرأس وفعلاً ذهبت اليه واخذت كل ما يتعلق بها وبمرضها من فحوصات طبية وعلاجات فتمكن الطبيب من تشخيص مشكلتها المرضية وهي وجود التهابات او ماشابه في الوريد الخامس الذي يأتي من الدماغ إلى الأسنان وهذا هو سبب آلامها وأوجاعها وخصص لها موعداً لإجراء عملية جراحية (وهي زرق حقنة طبية عبر اللثة تحتوي العلاج الذي افترضه للتخلص من مرضها في ذلك الوريد) وبعد أسبوع أجريت لها العملية بنجاح وأصبحت بصحة جيدة بعد ثماني سنوات تقريباً وتحديداً شهر كانون الأول ٢٠٠٧ م عادت إليها الآلام والأوجاع مرة ثانية ولكنها لم تذهب للطبيب نفسه لخوفها من السفر إلى بغداد في ظل الظروف الحالية للبلد، فذهبت إلى احد الأطباء في مدينة الموصل وقال لها انها فعلاً أعراض لنفس المرض وقد يتعلق الامر بانتهاء مفعول الحقنة العلاجية الأولى التي أخذتها كجرعة دوائية وان نفس الدواء موجود لكن ليس في مدينة الموصل بل في محافظة دهوك فخشيت السيدة م.م.ص. ان يكلفها العلاج وأولادها مبلغاً كبيراً من المال في إحدى المحافظات الشمالية على حد قولها ، ذهبت بعد ذلك إلى احد السحرة الذي وصفته لها أختها فأعطاها علاجاً (خليطاً من العسل والحبة السوداء وأشياء لا تستطيع تذكرها) وكذلك كتب لها مجموعة كلمات في ورقة عادية (تقول المريضة أنها لم تستطع قراءة عباراتها المبهمة بالنسبة لها) وقال لها بأن تضعها في إناء فيه ماء وتنتظر لحين اختفاء الكتابة ثم تشرب ذلك الماء ونصحها ايضاً بحرق بخور من

نوع معين في البيت لثلاثة ايام وان تقوم بكل ما طلبه منها وفعلاً قامت بعمل كل شيء ولكن دون جدوى، بعد ذلك علم زوج إحدى بناتها بامرها تكفل بكل المصاريف لاجراء العملية في دهبوك وفعلاً أخذها بنفسه مع احد أولادها وحدد لها موعداً في احدى المستشفيات واجريت عليها نفس العملية الجراحية لوجود نفس المرض وتقول انها منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا بصحة جيدة ولا تشعر بأي آلام تذكر.

المبحث الخامس : النتائج والتوصيات

اولاً : نتائج البحث :

توصل البحث إلى مجموعة نتائج أجملها كما يأتي :

١. **من الناحية الدينية :** إن اغلب فئات مجتمع مدينة الموصل يحملون الهوية الإسلامية وان الحالات التي قام الباحث بدراستها جميعها لمسلمين يعرفون حدود الدين الإسلامي ويعرفون أن الممارسات السحرية والطقوس خاطئة ومخالفة للدين الإسلامي الحنيف وأفكاره القويمة فاعلم الأفراد الذين درسهم الباحث في الحالات الفردية هم من الملتزمين بالفرائض الدينية وتأديتها وتمسكين بصلاتهم وصيامهم وأداء زكاتهم وثقافتهم الدينية جيدة ومع معرفتهم بان السحر هو طقوس غامضة ومخالفة لما جاء به الدين والإسلام إلا أنهم يلتجئون إليه كعلاج للأمراضهم .

٢. **من الناحية التعليمية أو المستوى العلمي للمبجوثين :** بينت نتائج البحث ان ٣٠% من المبجوثين يحملون شهادة متوسطة و ٢٠% من المبجوثين يحملون شهادات بكالوريوس ومعهد وفي الحالة العاشرة ايضا تبين أن احد أفراد عائلة المريضة يحمل شهادة بكالوريوس في كلية التمريض مع ذلك ومع معرفتهم بأساليب الطب الحديث وطرقه العلاجية المتطورة فإنهم يلجؤون إلى السحر والسحرة والمشعوذين لعلاج الأمراض ، إذن فالاعتقاد بالسحر كعلاج وبدور السحرة العلاجي لم يقتصر على المستويات التعليمية الدنيا بل شمل حملة الشهادات من معهد وبكالوريوس مع ما اكتسبوه خلال فترة دراستهم من ثقافة وعلم يسهم في تحديد الطريق الصحيح من الخاطئ .

٣. **من الناحية الاجتماعية :** أوضحت نتائج البحث أن الخلفيات الاجتماعية لـ ٤٠% من المبجوثين ريفية وهذا اسهم في اتجاه الفرد الى الاعتقاد بالسحر والإيمان به كعلاج للأمراض تبعاً للظروف البيئية في الريف وتفكير الفرد المريض التقليدي بالأساليب العلاجية التقليدية والموروث الاجتماعي والشعبي الذي غالباً ما يتمسك به أفراد المجتمع الريفي وخاصة كبار السن ، أضف إلى ذلك المستوى التعليمي المنخفض لأغلب أفراد المجتمع الريفي والذي يترك تأثيراً على عقلية المبجوث وطريقه تعامله ، وكذلك بينت نتائج البحث أن ٦٠% من

المبوحثين هم حضريون اتجهوا إلى العلاج بالسكر والاعتقاد به والإيمان بطرائقه الواضحة الخطأ جداً برغم توفر كل سبل العلاج الحديثة والمتطورة والشعبية الصحيحة في المدينة إذن فالخلفية الاجتماعية لم تكن لتحدد عقلية المبوحث وتوجهه إلى كيفية علاج الأمراض وأتباع الطرائق الصحيحة لذلك خصوصا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان ٨٠% من المبوحثين متزوجون ولديهم أولاد أي تتعدد آراء العائلة تجاه الظاهرة موضوع البحث .

٤. من الناحية الاقتصادية : لقد أوضحت النتائج ان متوسط الدخل الشهرية للمبوحثين هو ٥٨٤.٥٠٠ ألف دينار بانحراف معياري قدره ١٨٠.٠٠٠ ألف دينار وهذا المستوى المالي والمردود المادي يوضح ان المبوحث يمكن ان يسلك أي طريقة سوية وصحيحة لعلاج أمراضه ومع ذلك اتخذ لنفسه ان يسلك الطريق الخاطئ وهذا ان دل على شيء إنما يدل على أن المردود المادي ليس له علاقة بإيمان المريض بالطرائق السحرية كعلاج بل هي مسألة معتقد يتمسك به المبوحثون .

٥. أما بالنسبة للأمراض : فان أكثر الحالات التي تم دراستها هي حالات التلبس بالجن وعمل السحر (الربط) وكذلك حالات العقم فمثل هذه الحالات كأعراض ليس لها أي دليل طبي واضح لذلك رأينا أن اغلب المبوحثين المصابين في مثل هذه الامراض اتجهوا إلى السحرة والعلاج بالسكر لإيجاد حلول علاجية بطريقة أو بأخرى .

٦. وأخيرا فلا بد الإشارة إلى أن نتائج البحث بينت أن ٧٠% من المبوحثين المعتقدين بالسكر ودوره العلاجي إناث وهذا يرجع إلى غلبة الجانب العاطفي والوجداني على الجانب العقلي الذي يدفعهم إلى سرعة التصديق وبالتالي سلكهم الطرائق العديدة لعلاج الأمراض بغض النظر عن صحتها أو خطأها .

ثانيا : التوصيات والمقترحات :

١. يجب محاربة الأفكار والطقوس السحرية الخاطئة في مجتمعنا عن طريق إعطاء محاضرات في الجوامع أو المؤسسات الدينية والاجتماعية وبيان أننا مجتمع إسلامي وان السحر والسحرة هم عالم غريب عن ديننا الإسلامي الحنيف وأفكاره القويمة والصحيحة وان كل أفكار السحرة هي استغلال لفكر الفرد ومعتقداته .

٢. وجوب تكوين لجان رقابية تلاحق أولئك السحرة والمشعوذين الذين يضعون استغلال الفرد ماديا ودينيا كأول هدف أمام نصب أعينهم .

٣. يجب أن تكون هناك مساعدة للعوائل المحتاجة من قبل الجهات المسؤولة لعلاج الحالات المرضية التي تكلفهم الكثير وتذليل العقبات المالية أمامهم للتخلص من مشكلاتهم الصحية وأمراضهم .

٤. ضرورة بيان ايجابيات الطب الحديث ووسائله التكنولوجية المتطورة في علاج الأمراض وطرائق الطب الشعبي والصحيحة وذلك من خلال عقد الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية أو عن طريق القنوات المحلية الفضائية ومن ثمَّ تكوين صورة واضحة عن طرائق العلاج الحديثة والمناسبة ، وحصر الممارسات السحرية في زاويتها المظلمة التي ليس لها أساس من الصحة في العلاج .

هوامش البحث ومصادره:

- (١) أمل المخزومي ، توضيح التنويم المغناطيسي ، منتديات الحصن النفسي ، شبكة الحصن لحياة أفضل ، العربية نت ، الرياض ، السعودية ، ٢٠٠١/٧/٥ ، انترنت.
- (٢) وائل أبو هندي، نحو طب نفسي إسلامي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٢ ، ص ١٢٩ .
- (٣) سعد الدين علامة وأبو محمد الجبالي ، السحر والسحرة . الوقاية والعلاج ، دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ ، ص ٩٠ .
- (٤) عبد علي سليمان ، الأنتروبولوجيا الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل . مديرية مطبعة الجامعة ، الموصل ، العراق ، ١٩٨٥ ، ص ٦٨ .
- (٥) جاسم حسين بن شيخ علي، السحر والسحر وكيفية النجاة منها ، دار الرضوان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ ، ص ٦٢ .
- (٦) نفس المصدر ، ص ٦٠ .
- (٧) نفس المصدر ، ص ٧٤ .
- (٨) محمد أمين الضناوي،تحصين الإنسان من السحر والجن والشيطان بالأذكار والاوراد والقرآن،منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط٢، ٢٠٠٣،ص٤٢
- (٩) جاسم حسين بن شيخ علي ، مصدر سابق ، ص ٣١ .
- (١٠) محمد أمين الضناوي ، مصدر سابق ، ص ٤٤ .
- (١١) مفيد محمد نوري، السحر، أنواعه وأثره على العلاقات الاجتماعية، مجلة الجامعة، السنة الثانية ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق ، ١٩٧١ ، ص ١٤ .
- (١٢) آمنة صبري مراد ، لمحات من تاريخ الطب القديم ، مطبعة الكيلاني الصغير ، نشر مكتبة النصر الحديثة ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٦ ، ص ٣١ .
- (١٣) شريف يوسف، السحر عند البابليين والمصريين والعرب قبل الإسلام، مجلة التراث الشعبي،المجلد ٩، العدد ٦،السنة ٩،دار الحرية للطباعة والنشر،بغداد،العراق،١٩٧٨، ص٤٧ .
- (١٤) نفس المصدر ، ص ٤٧ .
- (١٥) سهيلة مجيد احمد ، السحر في العراق القديم ، مجلة آداب الرافدين ، العدد السادس والثلاثون ، تصدر عن كلية الآداب . جامعة الموصل ، العراق ، ٢٠٠٣ ، ص ٩٩ .
- (١٦) منير حسين فوزي ، العلوم السلوكية والإنسانية في الطب ، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٧٠ - ١٧١ .
- (١٧) نفس المصدر ، ص ١٧١ .
- (١٨) نفس المصدر ، ص ١٧١ .
- (١٩) رعد أرزوق أسطيفان وآخرون ، إدارة المستشفيات ، مطابع جامعة الموصل . مديرية مطبعة الجامعة ، العراق ، ١٩٨٤ ، ص ٩ .
- (٢٠) جوزيف جارلند ، قصة الطب ، ترجمة سعيد عبدة ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٥٩ ، ص ٧ .
- (٢١) يوسف إبراهيم المشني ، علم الاجتماع الطبي ، دار المستقبل للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٠٤ .
- (٢٢) رعد أرزوق أسطيفان وآخرون ، مصدر سابق ، ص ٩ .
- (٢٣) يوسف إبراهيم المشني ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .

- (٢٤) أمّنة صبري مراد ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .
- (٢٥) منير حسين فوزي ، مصدر سابق ، ص ١٧٠ .
- (٢٦) سالم الحقوي ، علاج السحر . إيجابياته وسلبياته ، منتديات الأرشيف ، الرياض ، السعودية ، ٢٠٠٨/١/٩ ،
انترنت .
- (٢٧) عبد علي سليمان ، مصدر سابق ، ص ٧٠ .
- (٢٨) عبدالله معمر ، الطب الشعبي . حقيقة العلاج وثقافة المرض ، مجلة شؤون اجتماعية، تصدر عن جمعية
الاجتماعيين والجامعة الأمريكية في الشارقة ، العدد ٨٩ ، السنة ٢٣ ، الإمارات ، ٢٠٠٦ ، ص ١٨٧ .
- (٢٩) يوسف إبراهيم المشني ، مصدر سابق ، ص ٦٢ .
- (٣٠) عبد الله معمر ، مصدر سابق ، ص ١٨٨ .
- (٣١) ناظم كوت، أمراض السحر، الجزيرة نت، الرياض، السعودية ، ٢٠٠٢/٧/٣ ، إنترنت .
- (٣٢) نفس المصدر ، انترنت .
- (٣٣) أشرف محمود ، صيدليات الشوارع ، منشورات ديوان العرب ، موقع إسلام أون لاين نت ، القاهرة ، مصر ،
٢٠٠٤/١/١١ ، انترنت .
- (٣٤) يوسف إبراهيم المشني ، مصدر سابق ، ص ٦٣ .
- (٣٥) نفس المصدر ، ص ٦٣ .
- (٣٦) الكزاندر هجرتي كراب ، علم الفلكلور ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة، مصر ، ١٩٦٧ ،
ص ٣٠٧ .
- (٣٧) منير عرب ، تحدي الاطباء في علاج الحالات المستعصية ، مجلة إقرأ ، العدد ١٢٨٦ ، الجزيرة نت ،
الرياض ، السعودية ، ، ١٦ / ١١ / ٢٠٠٠ ، انترنت .
- (٣٨) عبد الملك مرتاض ، الوان من الطب الشعبي في الجزائر ، مجلة التراث الشعبي ، المجلد ١٢ ، العدد
التاسع والعاشر ، السنة ١٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١ ، ص ٢٩ - ٣٢ .
- (٣٩) محمد الجوهرى ، علم الفلكلور . دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية ، مطابع دار المعارف ، الجزء الأول ،
الطبعة الثالثة ، مصر ، ١٩٧٨ ، ص ١٢٧ .
- (٤٠) حسن الخولي ، الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ،
مصر ، ١٩٨٢ ، ص ١٧١ .
- (٤١) إبراهيم خليفة ، علم الاجتماع في مجال الطب ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٤ ،
ص ٣٥ .
- (٤٢) احمد زياد محبك ، صور من أساليب العلاج الخرافي في الطب الشعبي ، مجلة التراث الشعبي ، المجلد
١٢ ، العدد التاسع والعاشر ، السنة ١٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١ ، ص
٢٤ .
- (٤٣) زيدان عبد الباقي، الطب الشعبي في قرية مصرية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الثاني، السنة
العاشرة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، تصدر عن جامعة الكويت، ١٩٨٢، ص ٢١٤ .